أصول الفعل

الرباعي

لأديب عباسي

في المقال النفيس الذي نشره الاستاذ البحاثة اسماعيل مظهر في عدد مارس الفائت من المقتطف وردت هذه العبارة : « أما بحثي هذا فطريف إذ أحاول ان أثبت فيه رأي ابن فارس في ان النحت كثير في اللغة العربية ، وهو الرأي الشديد الذي انكره عليه الجامدون ، وذهبوا الى القول بأن اللغة العربية لغة اشتقاق لا لغة نحت ، بدون تبصر في أسرار هذه اللغة الكبرى. وسأتتبع البحث في كلمات فصيحة لأثبت أنها منحوتة او انها مصوغة بطريق زيادة الحروف على الاصول لافادة معنى يزيد في معنى اللفظ قبل الزيادة عليه . فاذا ثبت ذلك كان لنا ان نجري على ماجرى عليه العرب ، فنفتح في العربية أبواباً مغلقة تطامنا على آفاق لانهائية الاتساع تعزُّ بها اللغة العربية لغات العالم قاطبة

وقد أدركني مقال الاستاذ عامة ، وهذه الفقرة التي اقتبست خاصة ، فحدثني كنت شرحتُ في أحد أعداد الهلال منذ خمسة أعوام وحاولت فيه إذ ذاك ان أثبت ان في اللغة العربية ، فصيحها وعاميها ، أسلوباً من الاشتقاق غير الاسلوب المعروف في كتب القواعد واللغة ، وهو الاشتقاق من الافعال الثلاثية [1] أفعالاً رباعية بزيادة اي حرف من حروف المعجم ، كيفما اتفق على الاصل الثلاثي ، فيكتسب الفعل الثلاثي بهذه الزيادة ما يفيد مولاة الحركة او تضخيمها ، او يكتسب لوناً خاصاً من المعنى غير ملحوظ في الاصل الثلاثي . وقد أوردت بومئذٍ لاقامة الدليل على صحة الرأي الذي ارتأيت صحته من الافعال " ... " [مجردة بحسب الرأي القديم في الاشتقاق فقط] الفصيحة والعامية ، وأبنت كيف استطاع ان يزيد من أحد الحروف فتبقى على أصول ثلاثية صلتها بهذه الافعال الرباعية واضحة كل الوضوح . وقد مضيت من ذلك الحين أبحث وأستقرىء حتى انتهيت الى اليقين بأن هذه الطريقة من الاشتقاق التي اهتديت اليها تكاد تكون طريقة أصيلة في نشوء اللغة العربية ونموها . وقد سرني على

---

[1] ... اشتقاق الفروع في كلمة من حرف او حرفين او ثلاثة من الحروف الاصول في كلام ... جملة « ... الحروف الاصول الثلاثي » هكذا : فعل ، فعل ، فعل الخ

ضوء هذه الطريقة ان أردنا نسبة كبيرة جداً من الافعال الرباعية الى الأصول الثلاثية [1] أما الافعال الرباعية التي لا نستطيع ردها الى أصول ثلاثية تشترك معها في المعنى فقد استطعت ردها الى أصول أخرى كما سأبينه في هذا البحث. واليك الآن الاصول التي رددت اليها الفعل الرباعي مع طائفة من هذه الافعال نوردها على سبيل التمثيل فقط لا على سبيل الاستقصاء

(١) الأصل الاول والاكبر للفعل الرباعي هو الفعل الثلاثي الذي يشترك معهُ في المعنى الأساسي اشتراكاً واضحاً . وهذه طائفة من هذه الافعال

(١) — شمأزَّ ، ورباعيهُ شمأز ، وتحذف من « شمأز » حرف الهمزة فيبقى أصله الثلاثي « شمز » ومعنى « شمز » نفر . والعلاقة بين النفور والاشمئزاز واضحة

(٢) — دحرج ، وتحذف منهُ الجيم فيبقى أصله الثلاثي « دحر » . والعلاقة في المعنى بين دحر ودحرج غير خافية

(٣) — زلزل ، وتحذف منهُ الزاي فيبقى أصله الثلاثي « زلَّ » . ومعنى زلَّ زلق وسقط

(٤) — افرنقع القوم — تفرقوا ، وتردُّ « افرنقع » الى أصله الرباعي « فرقع » الذي تردُّه بدورهِ الى « فرق »

(٥) — شعوذ ، تحذف منهُ الشين فيبقى لك أصله الثلاثي « عوذ » . ومن « عوذ » العوذة والعوذة تؤول الى الشعوذة

(٦) — قرطب الجزور — قطع عظامها . وتحذف من « قرطب » حرف الباء فيبقى لك « قرط » . وقرط معنى قطع الشيء قطعاً صغاراً

(٧) — قرطم الشيء — قطعه . وتحذف منهُ الميم فيبقى « قرط » الفعل المذكور

(٨) — قرضم الشيء — قطّعه . وتحذف منهُ الراء او الميم فيبقى منهُ « قضم » او « قرض » وكلاهما فيه معنى القرضمة

(٩) — قرصب الشيء — قرّقه . وقصب الشيء قصفه

(١٠) — رقش ، وتحذف منهُ الباء فيبقى أصله الثلاثي « رقش » تقول رقشت الشيء — اي نقشتهُ

---

(١) هذا كلام ورد في الجزء الثاني من المقتطف في مقالة لي عن « الاشتقاق » وقد ذكرت فيها ان اللغة العربية كغيرها من اللغات السامية تتكون من جذور ثلاثية وهي يقول وأبني على هذه الجذور الثلاثية جميع ما يتفرع من الاصول الثلاثية في العربية كالافعال الرباعية والخماسية والسداسية والاسماء المشتقة منها كالمصدر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة باسم الفاعل واسم التفضيل واسم الآلة والظرف والمصغر والمنسوب . وقد ذكرت في تلك المقالة ان الاصول الثلاثية التي تتفرع منها الاصول الاخرى التي تليها في التفرع هي التي تسمى « جذوراً » وذكرت ان الجذور الثلاثية تنقسم الى قسمين قسم يسمى « اصولاً » وقسم يسمى « فروعاً » وقلت ان الاصول هي التي تدل على المعاني الاساسية في اللغة والفروع تدل على المعاني الثانوية

على ان ما ورد في هذه المقالة من تقسيم الجذور الثلاثية الى اصول وفروع لا يصح تعميمه على جميع الجذور الثلاثية في الالفاظ العربية . بحيث لا يصح جعله اساساً عاماً لتفسير نشوء مفردات اللغة

(١١) — بزق ، وتحذف منهُ الياء فيبقى لك « بزق » . وتقول بزق فلان الارض — اي شقّها وفرّق اجزاء التربة بعضها عن بعض

(١٢) — ركرك الرجل — ضعف ، وترده بحذف الزاء الى الفعل « ركّ »

(١٣) — زعبق القوم — فرّقهم ، وزعب الشيء — قطعه

(١٤) — اشملّ الرجل — جدّ في المضي . ومعن الرجل — اسرع في سيره

(١٥) — جندل ، وتحذف منهُ النون فيبقى « جدل » . وجدل الرجل اخاه — رماه بالارض

(١٦) — تحذلق ، وهو ان تكلف الحذق ، كتحذّق

(١٧) — خلع الرجل — خرج الى البدو ، وتحذف منهُ اللام فيبقى الاصل الثلاثي وهو « ختع » . وختع في الارض ذهب وانطلق . وغير بعيد الذهاب والانطلاق من الخروج اي البدو [الاستاذ مظهر يرد هذا الفعل بالنحت الى أصلين وهما « ختع » و « تلع »]

(١٨) — ابذعرّ ، ورباعيهُ بذعر ، وتحذف العين منهُ فيبقى منهُ « بذر »

(١٩) — زفرق ، ويردُّ الى الفعل « رقّ »

(٢٠) — تسلسل ، وتردهُ الى « سلّ » او « سلس »

(٢١) — احرنجم ، ويُردُّ الى « حرج » فتي « احرنجم » و « حرج » معنى الضيق — اي الحرج

(٢٢) — خلخل الشيء — حركه واضعف ثبوته . وخلّ الشيء — ضعف

(٢٣) — هبهب — أسرع : هبّ — أسرع ونشط

(٢٤) — هرج عليه الخبر — خلطه عليه : هرج في الحديث — اكثر منهُ وخلّط

(٢٥) — هردب — عدا عدواً ثقيلاً : هرب

(٢٦) — اهرمّع — اسرع في مشيته : هرع

(٢٧) — عسعس الذئب — طاف بالليل ، وعسّ الحارس — طاف بالليل [العلاقة مجازية]

(٢٨) — بكبك الرجل المخّ — مصّهُ جيداً . بكّ العظم امتصّ ما فيه

(٢٩) — تنطق الرجل — اظهر عجمه بالنطق . والنطق من النطق ، فيكون اصله الثلاثي « لطق »

(٣٠) — تلمس ، مسّ

(٣١) — بدرق المال — بدّده . بذر

(٣٢) — تهرجت المرأة — تبرّجت . فيكون اصله الثلاثي « هرج » او « رج » الذي منهُ « تبرج »

(٣٣) — تفلق الشيء — اضعف ثبوته : فلق

(٣٤) — اقشعرّ ، والأرجح انهُ من شعر . فالعلاقة واضحة بين القشعريرة والشعور

(٣٥) — أفلل ، وهو من فلّ يفلّ عن يده في الشيء ادخلها فيه

(٣٦) — غمغم الكلام — اخفاه ، وغمَّ الشيء — غطّاه

(٣٧) — عرقل : عقل

(٣٨) — تمشدق ، وهو من « شدق » الذي منهُ تشدَّق — اي تفاصح

(٣٩) — وضرض : رضَّه

(٤٠) — هذرم النائم او الشيخ — اكثر من الكلام وخلَّط فيه : هذر

(٤١) — دملج الشيء — اتقن صنعه وصياغته : دمج

(٤٢) — دملك الشيء ملسه ، ودمشك الشيء ، صار أملس

(٤٣) — لمم : لمَّ

(٤٤) — فرفص — جلس القرفصاء ، وفرفص الشيء جمعه وقربهُ بعضهُ الى بعض

(٤٥) — شفشف الهمُّ فلاناً — هزله : شفه الهمُّ — هزله

(٤٦) — رفرف : رف

(٤٧) — رجرج : رجَّ

(٤٨) — اشمخرَّ — ارتفع ارتفاعاً كبيراً ، شمخ — ارتفع كثيراً

(٤٩) — رصرص البناء احكمه : رصَّ

(٥٠) — تمكن : مكن

(٥١) — هدمل الرجل — خرَّق ثيابه : هدم الثوب — رقَّعهُ والهدم الثوب البالي

(٥٢) — هرجل — اختلط مشيه كان بعيد الخطو : هرج الفرس — جرى وأسرع في عدوه

(٥٣) — هزمل الرجل — افتقر شديداً من « هزل » [على المجاز]

(٥٤) — أزلغبَّ الفرخ — طلع ريشه : زغب ريش الطائر — نما صغيراً

(٥٥) — زفرف — أسرع — زفَّ : أسرع

(٥٦) — زحلف الشيء : حرَّكهُ حركة خفيفة — زحف

(٥٧) — زحزحه باعده زحَّه — دفعهُ او جذبهُ في عجلة

(٥٨) — طفشل الرجل — كان في بصره ضعف طفش الرجل — ضعف بصره

(٥٩) — فرتك الشيء — فطمه : فرك

(٦٠) — فرشخ الرجل — فتح ما بين رجليه : فرش الشيء — بسطه

﴿ الاصل الثاني ﴾ ما سبق ذكره الاصل الاول من اصول الفعل الرباعي . اما الاصل الثاني فهو افعال ثلاثية وجدت في اللغة بمعان تختلف عن معاني ما يُرَدُّ اليها من افعال رباعية وهذا ليس بدعاً في اللغة العربية . فهناك طائفة كبيرة من مشتقات الفعل الثلاثي على الطريقة الغريبة ليس بينها وبين اصولها الثلاثية صلة في المعنى كالافعال : « أفضى » من « فضى » ، « أغضى » من

(غضي البعير — شكا بطنه من اكل الغضا ، (اضطرب من (ضرب) ، (أضرب) من (ضرب) ، (نادم) من (ندم)، (امتطى) من (مطي)[امتد وطال] ،(عذّب) من (عدب) (أمعن) من (معن) [كل معاني (معن) بعيدة عن معنى (أمعن)] ،وهكذا . وقد يُسأل كيف وجدت هذه الافعال المزيدة في اللغة دون ان يكون بينها وبين أصولها الثلاثية صلة واضحة في المعنى . ويجيب ان أقرب تفسير لوجود مثل هذه الافعال هو أن علماء اللغة لم يستقرئوا استقراء تاماً معاني هذه المزيدات في أصولها الثلاثية حينما شرعوا يدونون اللغة ويضعون المعاجم . أو ان معاني هذه المزيدات ترجع الى معان كانت اهملت في اصولها الثلاثية قبل ان يشرع علماء اللغة في تدوينها ،فلما شرعوا يستقرئون ويدوّنون وجدوا هذه الافعال المزيدة ودونوها دون ان يجدوا صلة بين معانيها ومعاني الافعال الثلاثية التي تردّ اليها . والارجح ان يكون العاملان المذكوران معاً علّة هذا الافتراق بين معاني هذه الافعال المزيدة ومعاني اصولها الثلاثية ونذكر على سبيل التمثيل بضعة امثلة من هذه الافعال الرباعية التي لا صلة واضحة بين معانيها ومعاني ما نظنّه أصولها الثلاثية :—

(١) — تقطرف — سار مختلاً : فهو قد يكون من فعل « طرف » بحذف النون او من فعل « عرب» بحذف الطاء او من فعل « غطف » بحذف الراء ؛ وليس بين معاني هذه الأفعال الثلاثة معنى تردّ اليه معنى « تقطرف »

(٢) — تعطرس — تكبّر ، وترده الى « غطس » او (غرس» او « طرس» ، ولكن لا ترى صلة بين معاني هذه الافعال ومعناه

(٣) — تخنبخ الرجل — فاخر بالباطل وليس بين معناه ومعنى «نبح» الذي قد يردّ اليه صلة

(٤) — هرمن الرجل — لؤم ، وليس في كل ما ترده اليه من افعال ثلاثية معنى يلائم معناه

(٥) — عثر الشيء — فرّقه ، وترده الى (بثر) فلا ترى صلة بين معنى الفعلين

﴿ الأصل الثالث ﴾ : والأصل الثالث لهذه الأفعال الرباعية افعال ثلاثية غير موجودة بين ما دوّن من مفردات اللغة . وهذه الاصول الثلاثية قد تكون وجدت قبل تدوين اللغة ولكن لم يصلنا الاستقراء او قد تكون أهملت ووالت قبل الشروع في تدوين اللغة فلم يصلنا منها الا ما اشتقّ منها من افعال رباعية . وفي مشتقات الثلاثي القياسية مثل هذه الظاهرة من فقدان الاصول الثلاثية فاقداً تامّاً . فالافعال : «أقسن» — [صلُب من العمل] و «قوّز» [الثبت] — كثر ، وقيف — [اتبع الأثر] ، وتوغن [في الحرب] — قدم ، وورض و وورط كلها وكثير غيرها لا أصول ثلاثية لها في اللغة العربية على ما نعلم . ونورد فيما يلي ، على سبيل التمثيل ، بضعة من هذه الافعال الرباعية التي ليس لها أصول ثلاثية ترتد اليها في اللفظ او في المعنى :—

(١) — سفسع الوتد — حركه ليخرجه من موضعه (٢) — سمسع الرجل — هرم وفنى (٣) — زغرغ الكلام — اتى به ضعيفاً (٤) — رودكه — حسنه (٥) — رحرح الرجل — لم يصل نهاية ما يطلبهُ . هذا ولا بدَّ من الاشارة هنا الى ان الافعال الرباعية التي تقع تحت هذا الأصل قليلة جدًّا

﴿ الاصل الرابع ﴾ : والاصل الرابع هو الاشتقاق من اسماء عربية او التعريب من اسماء وأفعال اعجمية كالافعال الرباعية الآتية : تغلسف ، كهرب ، مغنط ، هندس ، زعفر (صبغ بالزعفران) ، عسكر ، تبغدد ، تقرعن ، تقطرب (حرك رأسه بسرعة كدوية القطرب)

﴿ الاصل الخامس ﴾ هو صياغة الافعال بالادماج كولون وضمن [ذكر في روايته : قال فلان عن فلان الخ] ودأر [حرَّك بصره حركات متوالية]

﴿الاصل السادس﴾ : هو صياغة افعال بحكاية اصوات الطبيعة كالافعال الآتية :—

(١) — شقشق الطائر — صوَّت وغرَّد (٢) — زمجر الاسد — زأر (٣) — قعقع الرعد — تردد صوته (٤) — قهقه — رفع الصوت عالياً في الضحك (٥) — زقزق الطائر — صات وغرَّد (٦) — حمحم الفرس — أخرج صوتاً دون الصهيل (٧) — غرغر الماء — ردده وحركه في فمه أو حلقه (٨) — وأفأ وتأتأ — اكثر من ترديد الفاء والتاء في كلامه (٩) — نخنخ الرجل — تردد صوته في صدره (١٠) — هأهأ الصبي اخاه — ضاحكه (١١) — وعوع الكلب وان آوى — عوى (١٢) — رحوح الرجل — أخرج الصوت المعروف الذي يصحب شدة الشعور بالبرد (١٣) — قوقأت الدجاجة — أخرجت صوتها المعروف

﴿ الاصل السابع ﴾ : وهناك الأصل الذي يشير اليه الأستاذ مظهر في بحثه (من اسرار العربية) الذي اشرنا اليه في مقدمة بحثنا ، وهو البحث . ولسنا نتعجل بحث الاستاذ ونرى رأينا في البحث كأصل من اصول الفعل الرباعي الأساسية ، ونترك ذلك الى ان نرى أين يقع بحث الاستاذ واستقراؤه هذا الاصل بين الاصول الثلاثة

هذا ونسأل الله اتا اتينا في هذا البحث بالقول الفصل في منشأ الفعل الرباعي ، وانا أصبنا في كل ما استقرأنا ورددنا من افعال رباعية الى اصولها ونرجو ان نكون وفقنا الى الحقيقة في الكشف عن اصول الفعل الرباعي . وأهم من هذا نرجو ان نكون قد فتحنا ان في اللغة طرائق من الاشتقاق غير الطرائق المرسومة المثبتة في كتب القواعد واللغة ، ولا ريب ان تتبع هذه الطرائق بالبحث والاستقصاء والتحديد سيفضي الى نتائج ويكشف عن آفاق تزيد مرونة الاشتقاق في اللغة العربية اتساعاً ومطاطة وتجعلها في مقدمة اللغات الحافلة في القدرة على التعبير عن المعاني وظلال المعاني مهما دقت وتقاربت او تداخلت .

القدس ٢٣ مارس ١٩٤٠